المَدْخَلُ

فِي دَلَائِلِ الإِعْجَاز، مِنْ إِمْلَائِه

تأليف عَبْدِ القَاهِرِ الجُرجَانِي

توفي سنة ٤٧١ـ أو سنة ٤٧٤ هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

تَوَكَّلتُ على الله وحدَه

قال الشَّيخُ الإمامُ ، مجدُ الإسلام ، أبو بكرٍ عبدُ القاهر بنُ عبد الرحمن ابنِ محمدٍ الجُرْجَانِيّ رحمه الله تعالى . (١)

الحمدُ لله ربِّ العالمين حَمْدَ الشاكرين ، وصَلَواته على محمد سَيِّد المرسلين ، وعلى آله أجمعين .

هذا كلام وَجِيزٌ يَطَّلع به الناظرُ على أُصول النحو جُمْلةً ، وكلِّ ما به يكونُ النَّظْمُ دَفْعَةً ، وينظُر منه فى مِرْآةٍ تُرِيه الأَشياءَ المتباعدةَ الأَمْكنة قد ٱلْتَقَت له حتى رآها فى مكانٍ واحدٍ ، ويَرَى بها مُشْئِماً قد ضُمَّ إلى مُعْرِقٍ ، (٢) ومُغَرِّباً قد أَخَذَ بيدِ مُشَرِّق . وقد وَصَلْتُ بأَخَرَةٍ [إلى] كلامٍ مَنْ أَصْغَى إليه وتدبَّره تدبُّر

---

(١) فوق البسملة ، فى مخطوطة « حسين جلبى » المرموز إليها بحرف « ج » ، وهى المنقولة من خط عبد القاهر نفسه ، كتب ما نصه :

« المدخل فى دلائل الإعجاز ، من إملائه »

وهذه الرسالة التى أملاها عبد القاهر ، موجودة فى أوّل النسخة المطبوعة من « كتاب دلائل الإعجاز » ، مقدَّمةً على الكتاب ، هكذا فعل الشيخ محمد رشيد رضا فى طبعته سنة ١٣٣١ هـ ، فأبقيتها كما هى مقدَّمةً على الكتاب ، ولكنها فى المخطوطة « ج » ، تأتى فى صفحة (٣٦١) ، كما أشرت إليه فى المقدمة ، فأثبت أرقام المخطوطة فى الهامش .

(٢) « المُشْئم » ، القاصدُ الشامَ ، و « المعرق » ، قاصدُ العراق .

ذى دِين وفُتُوَّة ، (١) دعاهُ إلى النَّظر فى الكتاب الذى وَضَعْناه ، (٢) وبعثَه على طلب ما دَوَّنَّاه ، والله تعالى الموفِّق للصواب ، والمُلْهِم لما يُؤَدِّى إلى الرَّشاد ، بمنِّه وفضله . قال رضى الله تعالى عنه :

* * *

معلومٌ أنْ ليس النَّظْمُ سوى تعليق الكَلِمِ بعضِها ببعضٍ ، وجَعْلِ بعضِها بسببٍ من بعض .

تعلُّق الكلم بعضها ببعض ثلاثة أقسامٍ

والكَلِم ثلاثٌ : آسمٌ ، وفعلٌ ، وحرفٌ . وللتعليق فيما بينها طُرُقٌ ③ معلومة ، وهو لا يَعْدُو ثلاثةَ أقسامٍ : تعلُّقَ آسم بآسمٍ ، وتعلُّقَ آسمٍ بفِعْلٍ ، وتعلُّقَ حرفٍ بهما .

فالاِسْمُ يتعلَّق بالاِسمِ بأن يكون خبراً عنه ، أو حالاً منه ، أو تابعاً له صفةً أو تأكيداً ، أو عطفَ بَيَانٍ ، أو بدلاً ، أو عَطْفاً بحرفٍ ، أو بأنْ يكونَ الأوَّلُ مُضَافاً إلى الثَّانى ، أو بأن يكون الأوَّلُ يعمل فى الثَّانى عَمَلَ الفعل ، ويكونَ الثانى فى حُكم الفاعل لهُ أو المفعول . وذلك فى آسم الفاعل كقولنا : « زيدٌ ضَارِبٌ أَبُوه عَمْراً » ، وكقوله تعالى : « أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِه القَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا » [سورة النساء : ٧٥] ، وقوله تعالى : « وَهُمْ يَلْعَبُونَ . لاَهِيَةً قُلُوبُهُمْ » [سورة الأنبياء : ٢ ، ٣] (٣) واسم المفعول

---

(١) فى المطبوعة : « وقد دخلت بأَخَرَةٍ فى كلام » ، ولا بأس بمعناه ، والذى فى المخطوطة : « وقد وصلت بأخرة كلام » ، وهو غير مستقيم إلاّ بزيادة « إلى » التى بين القوسين .

(٢) يعنى كتاب « دلائل الإعجاز » .

(٣) يشترط لعمل اسمى الفاعل والمفعول عمل الفعل ، الاعتماد على المبتدأ أو الموصوف أو ذى الحال ، ولعله نوَّع الأمثلة للإشارة إلى ذلك . ومثلها الاستفهام والنفى نحو : « قائم الزيدان » . ويقال مثل هذا فى كل تنويع ، وتعدُّدُ الأمثلة مطلوب لذاته . (رشيد) .

كقولنا : « زَيْدٌ مضروبٌ غِلمانُه » ، وكقوله تعالى : « ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ » ، [سورة هود : ١٠٥] ، والصفةِ المُشبَّهَة كقولنا : « زيد حَسَنٌ وَجْهُه ، وكريمٌ أَصْلُه ، وشَدِيدٌ ساعِدُهُ » ، والمصدرِ كقولنا : « عجبت مِنْ ضَرْبِ زيدٍ عَمْراً » ، وكقوله تعالى : « أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيماً » [سورة البلد : ١٤ ، ١٥] ، أو بأن يكون تمييزاً قد جَلاَه / ، منتصباً عن تَمَام الاسم = ومعنى « تمام الاسم » ، أن ٣٦٢
يكون فيه ما يمنع من الإضافة ، وذلك بأن يكون فيه نونُ تثنية ، كقولنا : « قفِيزان برًّا » ، أو نونُ جمعٍ كقولنا : « عشرون درهماً » ، أو تنوينٌ كقولنا : « رَاقُودٌ خَلاً » ، (٢) و « ما فِي السَّماء قَدْرُ رَاحةٍ سحاباً » ، أو تقديرُ تنوينٍ كقولنا : « خمسةَ عَشَرَ رجلاً » ، أو يكون قد أُضِيفَ إلى شيء ، فلا يمكن إضافته مرّة أخرى ، كقولنا : « لى مِلْؤُهُ عَسَلاً » ، وكقوله تعالى : « مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً » [سورة آل عمران : ٩١] .

وأمَّا تعلُّقُ الاسم بالفعل ، فبأن يكون فاعلاً له ، أو مفعولاً ، فيكون ④ مَصْدراً قد انتصبَ به كقولُك : « ضربت ضربا » ، ويقال له « المفعول المُطْلق » . أو مفعولاً به كقولك : « ضربتُ زيداً » ، أو ظَرْفاً مفعولاً فيه ، زماناً أو مكاناً ، كقولك : « خرجتُ يومَ الجُمُعة ، ووقَفْتُ أمامَك » ، أو مفعولاً معه كقولنا : « جَاءَ البَرْدُ والطَّيالِسَةَ » و « لَوْ تُرِكَتِ الناقةُ وفَصِيلَها لَرَضِعَها » ، أو مفعولاً له كقولنا : « جئتك إكراماً لك ، وفعلتُ ذلك إرادةَ الخيرِ بك » ، وكقوله تعالى : « وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ » [سورة النساء : ١١٤] ، أو بأن يكون مُنَزَّلاً من الفعل منزلةَ المفعول ، وذلك فى خبر « كان » وأخواتها ، والحالِ والتمييزِ المنتصبِ عن تمام الكلام ، مثلُ : « طابَ زَيْدٌ نفساً ، وحَسُن وجهاً ،

---

(١) « الراقودُ » وِعاءٌ كالدَّنِّ ، مستطيلٌ أسفله ، داخِلُه مطليٌّ بالقار .

وكَرُم أَصلاً » ، ومِثلُه الاسم المنتصبُ على الاستثناء ، كقولك : « جاءَنى القومُ إلاَّ زيداً » ، لأنَّه مِن قَبيل ما يَنْتصب عَن تمام الكلام .

* * *

تعلق الحرف بهما على ثلاثة أضرب

وأما تعلُّق الحرف بهما ، فعلى ثلاثةِ أضْرُبٍ :

الضرب الأول

أحدُها : أن يتوسَّط بين الفعل والاسم ، فيكون ذلك فى حروف الجرِّ التى من شأنها أن تُعَدِّىَ الأفعالَ إلى ما لا تَتَعدَّى إليه بأَنْفُسها من الأسماء ، مثل أنّك تقول : « مررت » ، فلا يَصل إلى نحو « زيد ، وعمرو » ، فإذا قلت : « مررت بزيدٍ ، أو على زيد » ، وجدته قد وَصَل « بالباء » أو « على » . وكذلك سبيلُ الواو الكائنة بمعنى « مع » فى قولنا : « لَوْ تُرِكَتِ الناقةُ وفصيلَها لَرَضَعها » ، بمنزلة حرف الجر فى التوسُّط بين الفعل والاسم وإيصاله إليه ، إلاَّ أنّ الفرقَ أنَّها لا تعمل بنفسها شيئاً ، لكنها تُعِين الفعل على عَمِله النَّصْبَ . وكذلك حكم « إلاَّ » فى الاستثناء ، فإنها عندهم بمنزلة هذه « الواو » الكائنة بمعنى « مع » / فى التوسط ، وعَمَلُ النَّصْب فى المستثنى للفعل ، ولكن بوساطتها وعونٍ منها . ٣٦٣

الضرب الثانى

والضَّرْب الثانى من تعلُّق الحرف بما يتعلق به ، « العَطْفُ » ، وهو أن يدخُل ⊙ الثانى فى عَمَل العامِل فى الأوّل ، كقولنا : « جاءنى زيد وعمرو » و « رأيت زيداً وعمراً » ، و« مررتُ بزيد وعمرو » .

الضرب الثالث

والضَّرْب الثالث ، تعلُّقٌ بمجموعِ الجملةِ ، كتعلُّقِ حرفِ النَّفى والاستفهام والشَّرط والجزاءِ بما يدخل عليه ، وذلك أَن من شَأن هذه المعانى أن تتناول ما تتناولُه بالتقييد ، وبعد أن يُسْنَد إلى شَىءٍ .

معنى ذلك : أنك إذا قلتَ : « ما خرج زيد » و « ما زيدٌ خارج » ، لم يكن النفىُ الواقعُ بها متناولاً الخروجَ على الإطلاق ، بل الخروجَ واقعاً من « زيد » ومُسْنداً إليه .

ولا يغُرَّنَّك قولُنا فى نحو « لا رجلَ فى الدار » : إنها لنَفْى الجِنْسِ ، فإن المعنى فى ذلك أنها لنفى الكَيْنونة فى الدار عن الجنس . ولو كَانَ يُتَصَوَّر تعلُّق النفى بالاسم المُفرد ، لكان الذى قالوه فى كلمة التوحيد من أن التقدير فيها : « لاَ إله لَنَا ، أو فِى الوجود ، إلاَّ الله » ، فضلاً من القول ، وتقديراً لما لا يُحْتاجُ إليه . وكذلك الحكم أبداً .

وإذا قلتَ : « هل خرج زيدٌ ؟ » لم تكن قد استفهمتَ عن الخروج مُطْلَقاً ، ولكن عنه واقعاً من « زيد » . وإذا قلت : « إن يأتنى زيدٌ أُكْرِمْهُ » ، لم تكن جعلت الإتيان شرطاً ، بل الإتيانَ من « زيد » ، وكذا لم تجعل الإكرامَ على الإطلاق جزاءً للإتيان ، بل الإكرامَ واقعاً منك . كيف ؟ وذلك يؤدى إلى أَشْنع ما يكون من المُحَال ، وهو أن يكون ها هنا إتيانٌ من غير آتٍ ، وإكرامٌ من غير مُكْرِمٍ ، ثم يكونُ هذا شرطاً وذلك جزاءً .

* * *

ومُخْتَصَر كلِّ الأَمر أنه لا يكون كلامٌ من جُزْءٍ واحدٍ ، وأنه لابُدّ من مُسْنَدٍ ومُسْنَدٍ إليه ، وكذلك السبيلُ فى كل حرفٍ رأيتَه يدخلُ على جملة ، « كَإِنَّ » وأخواتِها ، ألا ترى أنك إذا قلتَ : « كأنَّ » ، يَقْتَضِى مُشَبَّها ومشبَّهاً به ؟ كقولك : « كأنّ زيداً الأسَد » . وكذلك إذا قلت « لو » و « لولا » ، وجدْتَهما ⊙ يقتضيان جُمْلتين ، تكون الثَّانية جواباً للأولى .

* * *

وجُملة الأَمر أنه لا يكون كلامٌ من حَرْفٍ وفعلٍ أصلاً ، ولا من حرف وآسم ، إلا فى النداء نحو : « يا عَبْدَ الله » ، وذلك إذا حُقِّق الأَمْرُ كان كلاماً بتقدير الفِعْلِ المضمر الذى هو « أعنى » و « أريد » و « أدعو » ، و « يا » دليلٌ عليه ، وعلى قيام مَعْناه فى النفس .

* * *

٣٦٤ فهذه هى الطرُقُ / والوُجوه فى تعلُّقِ الكَلِمِ بعضِها ببعضٍ ، وهى ، كما تراها ، مَعانِى النحو وأَحكامُهُ .

وكذلك السبيلُ فى كلِّ شىءٍ كان له مَدْخلٌ فى صِحَّة تَعَلُّق الكَلِمِ بعضِها ببعضٍ ، لا ترى شيئاً من ذلك يَعْدُو أن يكون حُكْماً من أحكامِ النحو ومَعْنىً من معانيه . ثم إنَّا نرَى هذه كُلَّها موجودةً فى كلام العرب ، ونَرى العِلْمَ بها مُشْتَرَكاً بينهم .

* * *

وإذا كان ذلك كذلك ، فما جوابُنا لخَصْمٍ يقول لنا : إذا كانت هذه الأُمورُ وهذه الوجوهُ من التعلُّقِ التى هِى محصُول النظمِ ، موجودةً على حقائقها وعلى الصحة وكما يَنْبغى فى منثورِ كلام العرب ومَنْظُومه ، ورأيناهم قد آستعملُوها وتصرَّفوا فيها وكمَلُوا بمعرفتها ، [1] وكانت حقائقَ لا تتبدَّل ولا يَخْتلِفُ بها الحالُ ، إذ لا يكون للاسم = بكونه خبراً لمبتَدإٍ ، أو صِفةً لموصوفٍ ، أو حالاً لذى حال ،

---

(١) فى « ج » : « وكملوا لمعرفتها » ، مضبوطة .

أو فاعلاً أو مفعولاً لفعلٍ فى كلام = [1] حقيقةٌ هى خلاف حقيقته فى كلام آخر ، فما هذا الذى تجدَّد بالقرآن من عظيم المَزِيَّةِ ، وباهرِ الفَضْل ، والعجيبِ من الرَّصْفِ ، حتى أعجز الخلق قاطبةً ، وحتى قَهَر من البلغاءِ والفصحاءِ القُوَى ⑦ والقُدَر ، [2] وقيَّد الخواطرَ والفِكَر ، حتى خَرِسَت الشَّقَاشِقُ ، [3] وعَدِمَ نُطقُ الناطق ، وحتى لم يَجْرِ لسانٌ ، ولم يُبِنْ بيانٌ ، ولم يُسَاعد إمكان ، ولم يَنْقَدح لأحد منهم زَنْدٌ ، ولم يمض له حدٌّ ، وحتى أسَال الوادى عليهم عَجْزًا ، وأخذ مَنَافِذَ القول عليهم أخْذاً ؟ أيلزمنا أن نجيبَ هذا الخَصْمَ عن سؤاله ، وَنَرُدَّه عن ضلالِه ، وأن نَطِبَّ لدائه ، ونُزِيلَ الفسادَ عن رَائه ؟ [4] فإن كان ذلك يلزمُنَا ، فينبغى لكل ذى دِين وعقلٍ أن ينظُر فى الكتاب الذى وضعناه ، [5] ويستقصى التأمُّلَ لما أَوْدَعْناهُ ، فإنْ عَلِم أنه الطريقُ إلى البيانِ ، والكشفِ عن الحجة والبرهان ، تَبِع الحقَّ وأخذَ به ، وإن رأىَ له طريقاً غيرَه ، أَوْمَأَ لنا إليه ، ودلَّنا عليه ، وهيهاتَ ذلك ! وهذه أبيات فى مثل ذلك .

إنّى أقولُ مقالاً لَسْتُ أُخْفِيهِ ... ولَسْتُ أَرْهَبُ خَصْماً ، إنْ بَدَا ، فيهِ
ما مِنْ سبيلٍ إلى إثْباتِ مُعْجِزَةٍ ... فى النَّظْمِ ، إلاَّ بما أَصبَحْتُ أُبْدِيهِ [6]

---

(١) السياق : « إذ لا يكون للاسم .... حقيقةٌ » ، مرفوعةً ، اسم « يكون » .

(٢) و « القدر » ، ساقطة فى « ج » .

(٣) الشقاشق » جمع « شِقْشِقَةٍ » ، بكسر الشين ، وهى لَهَاة البعير ، أو شىء كالرئة يخرجه البعير من فِيهِ إذا هَدَر . ويقال للفصيح : « هَدَرت شقاشقه » ، يريدون الانطلاق فى القول وقوة البيان ، ويقال فى مقابل ذلك : « خرست الشَّقاشِق » . (رشيد) .

(٤) « الراء » هنا بمعنى « الرأى » .

(٥) يريد كتاب « دلائل الإعجاز » ، كما مرّ آنفاً ص : ٤ تعليق : ٢ وهو صريح فى كونه هو الواضع لعلم المعانى . (رشيد) .

(٦) يريد نظم القرآن وأسلوبه ، وفى هذا البيت تصريح أيضاً بأنه هو الواضع للفن . (رشيد) .

٣٦٥ / فَمَا لِنَظْمِ كَلامٍ أَنتَ ناظمُهُ ... مَعْنىً سِوى حُكْمِ إعرابٍ تُزَجِّيهِ (١)

آسم يُرَى وَهُوَ أَصْلٌ للكَلام ، فَمَا ... يَتِمُّ من دُونِهِ قَصْدٌ لمُنْشِيهِ

وآخرٌ هو يُعْطِيكَ الزِّيادةَ فى ... ما أَنْتَ تُثْبِتُهُ أَوْ أَنْتَ تَنْفِيهِ

تفسيرُ ذلك : أنَّ الأَصْلَ مُبْتَدَأٌ ... تَلْقَى له خَبَراً من بَعْدُ تَثْنِيهِ

وفاعلٌ مسندٌ ، فعْلٌ تقدَّمَه ، ... إليه ، يَكْسبهُ وَصْفاً ويُعْطِيهِ (٢)

⑧ هٰذانِ أصْلاَنِ ، لا تأتِيكَ فَائِدةٌ ... من مَنْطِقٍ لم يكونَا من مَبَانِيهِ

وما يَزِيدُكَ مِنْ بَعْدِ التَّمام ، فما ... سَلَّطْتَ فِعْلاً عليه فى تَعَدِّيهِ

هٰذِى قَوَانينُ تَكْفِى من تَشَعُّبِها ، ... ما يُشْبِهُ البَحْرَ فيضاً مِن نَوَاجِيهِ (٣)

فلَسْتَ تأتى إلى بابٍ لِتَعْلَمَهُ ، ... إلاَّ انصرفتَ بِعجْزٍ عن تقَصِّيهِ (٤)

هذا كذاك ، وإن كان الذين تَرَى ... يَرَوْن أَنَّ المَدَى دَانٍ لِبَاغِيه (٥)

ثمَّ الذى هو قَصْدى أن يقالَ لهم ، ... بمَا يُجيبُ الفَتَى خَصْماً يُمَارِيهِ

نقول : مِنْ أينَ أنْ لاَ نَظْمَ يُشْبِهُهُ ، ... ولَيْس مِنْ مَنْطِقٍ فى ذاك يَحْكِيهِ ؟

وقد عَلِمْنا بأَنَّ النظمَ ليس سِوَى ... حُكْمٍ من النحو نَمْضِى فى تَوَخِّيهِ (٦)

---

(١) « تزجيه » ، بالتشديد ، تدفعه برفق وتسوقه . (رشيد) .

(٢) « يكسبه » ، من الثلاثى ، ومنه الحديث ، « تَكْسِبُ المعدومَ » . (رشيد) .

(٣) فى المطبوعة : « تكفى من تتبعها » ، وصححها فى الاستدراك « تلفى من تتُّبعها » ، والصواب من المخطوطة « ج » .

(٤) « التقصى » ، التتبع . (رشيد) .

(٥) « باغيه » ، طالبه . (رشيد) .

(٦) « تَوَخّى الشيء » ، تَحَرِّيه وتعمُّد طَلَبه .

لو نقَّبَ الأرض باغٍ غيرَ ذَاك لَهُ مَعْنىً ، وصَعَّدَ يَعْلُو فى تَرَقِّيهِ (١)
ما عَادَ إلاَّ بخُسْرٍ فى تَطَلُّبِهِ ولا رَأى غَيْرَ غَىٍّ فى تبَغِّيهِ (٢)
ونحن ما إن بَثَثْنَا الفكر نَنْظُر فى أحكامه ونُرَوِّى فى معانيهِ
كانت حَقَائِقَ تَلْقَى العلمَ مُشْتَرَكاً بها ، وكلاًّ تراه نافذاً فيهِ
فليس مَعْرِفَةٌ من دُون مَعْرِفَةٍ فى كل ما أنتَ مِنْ بابٍ تُسَمِّيهِ
ترى تَصَرُّفَهُمْ فى الكُلِّ مُطَّرِدًا يُجْرُونَهُ باقْتِدارٍ فى مَجَارِيهِ
/ فما الذى زادَ فى هذا الذى عَرَفُوا حتى غَدَا العَجْزُ يَهْمِى سَيْلُ وَادِيهِ ٣٦٦
قُولُوا ، وإلاَّ فأَصْغُوا للبيان تَرَوْا كالصُّبْحِ مُنْبَلِجاً فى عَيْنِ رَائِيهِ

* * *

الحمد لله وحده ، وصلواته على رسوله محمد وآله .

---

(١) « صَعَّد » ، بالتشديد ، رَقِىَ ، كالثلاثى وهو مقابل التنقيب فى الأرض الذى فيه معنى التسفل . ويقال : « صَوَّب النَظرَ وصعَّدَه » ، إذا نَظر إلى أسفل الشىء وأعلاه . وعدى « نقَّب » بنفسه حاذفاً الخافض ، ولعله كان يراه قياسا ، « فَنَقَّبُوا في البِلاَد » . (رشيد) .

(٢) « تَبَغَّاه » ، كابتغاه طلبه . (رشيد) .